

من أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى: سبّ القرآن الكريم، والطّعن في مصدره، والاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول -صلى الله عليه وسلم-

بحث في السيرة

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

بقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}.

وعلى الرغم من هذه المواقف، إلا أن كبارهم كانوا يستمعون إلى القرآن الكريم سرّاً . فذكر ابن إسحاق عن الزهري، أنه حدث : أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي من الليل في بيته . فأخذ كل رجل من هم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له. حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوا ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا . بعضهم لبعض : لا تعودوا ! فلو رآكم بعض سفهائكم لا وقعت في أنفسه شيئاً . ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له . حتى إذا طلع الفجر، تفرّقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض : لا نبرخ حتى نتعاهد ألا نعود إلى ذلك . ففترّقوا.

نعوذ بالله من المكابرة عن قبول الحق، ونسأله الهداية.

الأسلوب الثامن: الاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول - صلى الله عليه وسلم-

اليهود أهل كتاب، والمفترض فيهم : أن يكونوا المبادرين إلى اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم-، لأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لأن الكتب السماوية السابقة تحدثت عنه بإسهاب، وبأوصافه التي لا تدع مجالاً للشك فيه؛ ومع ذلك فقد ظاهروا عليه عداوة الأوثان، وألبوه على قتاله، وردّ دعوته . وهذا أمر ليس بمستغرب على قنطة الأنبياء، ومخرفي الكتب السماوية (التوراة والإنجيل).

أوفدت قريشاً وفداً منها إلى المدينة، وعلى رأسهم : النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية يطرحونها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . فقالت لهم يهود: سلوه عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح . فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ... فجاؤوا محمداً صلى الله عليه وسلم- فسألوه . فقال لهم: ((أخبركم غداً))، ولم يستثن.

قال ابن إسحاق: فمكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة ليلة، وفي بعض الروايات: أن الوحي تأخر عليه ثلاثة أيام، لم يحدث الله تعالى في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أرحف أهل مكة . قالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة ... حتى أرحن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل - عليه السلام- بسورة (الكهف)، وفيها معانيته على حزنه عليهم :

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}، ثم الإجابة على الأسئلة، وإجابة سؤال الروح جاء في سورة (الإسراء) -الآية ٨٥- .

وفي صحيح البخاري : أنّ اليهود سألوا الرسول - صلى الله عليه وسلم- عن الروح، في المدينة، فأنزل الله تعالى عليه الآية : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} . وبناء على هذا، فقد رجّح بعض العلماء ما في الصحيح، وقالوا: بأن الآية مدنية، وإن كانت السورة مكية.

وقد جمع العلماء بين الأمرين بتكرار النزول، ومنهم : ابن كثير . وقال الزركشي: لا مانع من نزول بعض القرآن أكثر من مرة، تعظيماً له وتذكيراً بفضله.

ومن أسئلتهم: أنه كان - صلى الله عليه وسلم- جالساً معهم في مجلس، وفيه النضر، فأفحمهم -صلى الله عليه وسلم-، وتلا عليهم قول الله تعالى : {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} * لَوْ كَانَ هُوَآءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَّهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ} . فقام -صلى الله عليه وسلم-، وأقبل عبد الله بن الزبيري، فحدثه الوليد بن المغيرة بما جرى، وعجزهم عن الرد عليه، فقال : أما والله لو وجدته لخصمته . فسألوا محمداً : أكل ما يُعبد من دون الله في النار؟ فحنن تعبد الملائكة،

خلاصة—هذا البحث يبحث في أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى: سبّ القرآن الكريم، والطّعن في مصدره، والاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول -صلى الله عليه وسلم-.

الكلمات الافتتاحية: السب، الطعن، اليهود ومكرهم.

I. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أحي الطالب، سلام من الله عليك ورحمة منه وبركاته، ومرحباً بك في سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مادة السيرة النبوية، لهذا الفصل الدراسي، أملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة، في هذا الدرس نتعرف على بعض أساليب قريش في الصدّ عن دين الله تعالى ومنها: سبّ القرآن الكريم، والطعن في مصدره، والاستعانة باليهود في وضع أسئلة تعجيزيّة للرسول -صلى الله عليه وسلم-

II. موضوع المقالة

الأسلوب السابع: سبّ القرآن الكريم، والطّعن في مصدره: عرف المشركون ما للقرآن في عقول العقلاء وأفصح الفصحاء، فلجؤوا إلى أساليب شتى لإبعاد الناس عنه، مخافة أن يتأثروا به، ومن تلك الأساليب: سبّ القرآن الكريم .

روى البخاري ومسلم في قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا} أنّ ابن عباس قال: أنزلت ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- مخفف بمكة . وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به . فقال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ} أي: بقرائك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن: {وَلَا تُخَافَتْ بِهَا} عن أصحابك، فلا تسمعهم، {وَاتَّبَعَ بَيْنَ ذَلِكَ} سبيلاً.

وصنف القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين.

كان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وينصب العداوة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- . وكان يعارض ما يذكره صلى الله عليه وسلم- من قصص الأنبياء . وربما كان معه من الأساطير التي تعلمها في الحيرة وبلاد فارس، ويقول: يا معشر قريش، أنا أحسن حديثاً من محمد، وما حديثه إلا أساطير الأولين! فردّ الله تعالى عليه قوله، فقال: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً} * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} . قولهم بأن القرآن مصدره: البشر.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله عليهم في قولهم: إننا قد بلغنا أنك إنما تعلمك رجل باليمامة، يقال له: الرحمن، ولن نؤمن به أبداً . فأنزل الله تعالى: {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب} .

كان -صلى الله عليه وسلم- يجلس أحياناً عند المروة إلى غلام نصراني، يقال له: جبر، وغلّام آخر يسمى: يساراً، يصنع السيوف؛ فكانوا يزعمون أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم- يتعلم القرآن ويتلقاه من هذين الغلامين، أو أحدهما . وقد ردّ الله سبحانه عليهم

واليهود تعبد عزير، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم:- ((إن كل من أحب أن يعبد من دون الله، فهو مع من عبده في النار...))

المراجع والمصادر

١. الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م.
٢. السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
٣. المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.
٤. سيد الناس: عيون الأثر، ابن الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩م.
٥. محمد بن يوسف الصالح: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مجمع البحوث الإسلامية -القاهرة ١٩٧٣م.
٦. ناصر الدين الألباني : نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، المكتب الإسلامي ١٩٥٢م.
٧. القسطلاني : شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية، المطبعة الأزهرية ١٩١٠م.
٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
٩. عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام- دار الكتب العلمية - ١٩٩٦م.
١٠. صفى الرحمن المباركفوي: الرحيق المختوم، دار الشرق العربي ٢٠٠٣م.
١١. الأزرقى: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط ١٩٧٠م.
١٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
١٣. محمد أبو شهبه: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : دار القلم ١٩٩٦م.
١٤. عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٣م.
١٥. الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية ١٩٨٠م.
١٦. -محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة العاشرة ٢٠٠٣م، ٤ ابن هشام الأنصاري ، عبد الملك بن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م